الفصل الرابع والعشرون

زَرْعُ الريح

وبعد انقضاء الحرب اجتمع ممثلو هذه الرواية في لندن لعرض الفصل الاخير منها . وكان غودارد قد شفي من جرحه البالغ ورجع اللورد ارلنفورد من نيس واخذ البرنس سكولوف يعيد الشرك الذي اعده للتبييت على فريسته في اقرب وقت

فنعود بروايتنا على بدء في غرفة صغيرة بمنزل املي دشتون حيث لم يكن فيها في مستهل التمثيل سوى شخصين احدهما يروح ويجيء في عرض الغرفة مضطربًا والآخر جالس على كرسيه هادئًا . وكان الاول اللورد ارلنفورد والثاني الماجور هومر كرتر شقيق املي

فوقف ارلنفورد بغتة ودنا من كرتر وقال: —

— ايُّ شيطانٍ بعثك على السماح لاملي بالعودة الى انكلترا في مثل هذه الاوقات الصعبة ؟

— لكنك تعلم ياصديقي العزيز انهُ ليس لي عليها من السلطة اكثر مما لك . ويظهر انها تهتمُّ بتقرير الامر وفصل الخطاب . وقد الحت عليَّ في ذلك اشدَّ الالحاح . ولقد طالما حذرتك منها وانذرتك بشرها حين يمسها الغيظ ويحركها الروح

— لكني قادر منذ الآن ان أوفي كل ماعليَّ من الديون واهاجر الى بلاد الجزائر

— هذا اذا وجدت املي سهلة القياد لاتعارض في انفاذ هذا المراد

— عليَّ تدبير الامر فلستُ اظنها تسبب لي تعبًا . أنظر يا كرتر ! اروم منك ان تذهب الى المستر ريس وتخبرهُ اني لا استطيعُ الذهاب اليهِ اليوم . وربما ذهبتُ غدًا . على انهُ اذا كان جوادهُ كما وصفهُ لي فاني اشتريهِ

— لكنك قلت لي انك ذاهب الى الجزائر

— نعم لكني اتوقع الربح في السباق القادم

— فقام الماجور وخرج . ولم يلبث ارلنفورد وحدهُ طويلاً حتى دخلت املي دشتون فاقبلت عليهِ فاتحة ذراعيها وقالت : —

— الست مسرورًا برؤيتي ياجاك ؟

— وددتُ لو انكِ لم تأتي

يالك من جافٍ غليظ الطبع قاسي الفؤاد ! أهكذا تقابلني بعد طول البعاد ياناقض العهد وقليل الوداد

ثم اقتربت منهُ ووضعت يدها على كتفهِ . اما هو فتملص منها معرضاً وقال : —

— اعلمي ياعزيزتي انهُ كان يجب عليك ان لا تأتي الى هنا لانكِ بقدومكِ هذا تهدمين كل مابنيتهُ . فلماذا لم تبقي في باريس ؟

— لان حماقتي حماتني على الاهتمام بك وضعفي اوهمني انك تهتمُّ بي . فاعلم يا جاك ان اليوم الذي اتحققُ فيهِ انك عامل على خذلي وخداعي يكون عليك اشأم الايام . وأخشى انك تخرجني فتخرجني الى مالا ارجع عنهُ ولو تجرعتُ كأس الحمام . فلا تضيقنَّ عليَّ النطاق لاني في ساعة غضبي اكون مرَّة المذاق وصعبة لا أُطاق

— املي ! املي ! خلي عنك التقعر فاسنا في شيء من التأنق في الصوت والافتنان في الحركات والاشارات ولا حاجة لك ان تذكريني احدى ممثلات الروايات !

— ولكني عندما اشرع في تمثيل " دوري " اضطرك الى الانتباه ولو بالرغم والاكراه . على انهُ قبل حلول الوقت اروم منك ايضاح امرين . فقد جئتك متوقعةً انك تسرُّ برؤيتي لاني لم اصدِّق ما سمعتهُ عن علاقتك بتلك الفتاة الاميركية . والآن اطلب ان اسمع منك ما يثبت هذه الاشاعة او ينفيها . لا ارتاب في انَّ دناءتك تحملك على تخادعتي وانما ارتاب كل الارتياب في ان يبلغ منك الغرور مبلغاً يدفعك الى التعريض بنفسك لمغبَّة عداوتي وعاتية حنقي . ولكن مالي ولهذا كلهِ . فلم اجئ الى لندن للايعاد والتهديد . فقل لي هل انت عازم على الاقتران بتلك الفتاة ؟

— كلاَّ

فسرَّي عن املي وقالت : —

— هكذا كانت تُقتفى بك . انتَ اجلُّ من ان تفعل هذا يا جاك . انت اجلُّ من ان تُقدم عليهِ . لم تذهب اتعاب سفري سدى . حقاً لقد زال قلقي وصفا جوُّ قلبي من الكدر مع اني من البداءة لم اصدِّق هذا الخبر . لكني لم استرح حتى تحققتُ الامر عياناً فنعماً انت رجلاً وبُورِك فيك انساناً

— والآن يا أملي فلنضع حدَّاً لهذه الامور . واعلمي اني راجع الى امرأتي

— ماذا : أبجدٍ تكلمني ؟

— نعم

— وانا بجدٍّ اقول لك انك لن تستطيع هذا ايضاً !

— اليكِ عن الطيش والرعونة واصغي الى كلامي بهدوء وسكينة فانَّ احدى عمات زوجتي وهبتها كل ما تملكهُ ونصحت لها ان تصالحني . فهل أُضيع هذه الفرصة السانحة ولا انتهزها واحوالي كما تعلمين رديئة جدًّا ووكيلي لا يستطيع ان يمدَّني بمليم واحد . اذًا وافقيني على هذا الامر ولكِ مني خير الثناء واطيب الشكر

— او تخالني رهينة امرك . او في افتقارٍ الى خير ثنائك واطيب شكرك . أقلعْ — نعم أقلع عن هذا المقال ولا تعللنَّ نفسك بالمحال وقد آن لك ان تصغي لي فاسمع فاحدثك بالواضح الجلي . اي جاك اركفورد اعلم اني طالما وطَّنت نفسي على احتمال كل مشقةٍ وعناء لاجلك ومعك — على طريق المحبة . اما الآن وقد اتضح لي انك اتخذتني وسيلةً لقضاء مصالحك فاسمع ما عندي عليك . قد امتهنت نفسي لاجلك كثيرًا واشيعتها تحقيرًا وتعييرًا فينبغي لك ان تجزيني على هذا الاحسان بالاحسان وتقترن بي منذ الآن

تعقلي يا املي ! فعلى الانسان ان يجعل غاية لمطمح نظرهِ ولا يتطاول على قصرهِ . وما كنت قط لابلغ هذا المبلغ من الجنون وانتهي الى هذه الدركة من الموت . فلي بعض الاصحاب وينبغي ان اكون عندهم محترماً

— اذًا انا لستُ اهلاً لك ! أنت الذي لا يقوى على دخول بيت احد الشرفاء الادباء في انكلترا — انت اللص — انت المنافق — انت "النصاب العيار" ! — أنسيت اني اعرف كيف قضيت على غودارد بالخراب والدمار ؟

— لست ابالي بما تعرفين لاني اردت الاهتمام بكِ فأبيتِ . ومعلوم ان المرأة التي تستميل رجلاً متزوجًا الى محبتها لا تنال من هذه المحبة في النهاية سوى شر مغبتها . فانا باذل الآن غاية جهدي في استرجاع مقامي واحترامي في الهيئة الاجتماعية وبعد خمس سنوات ينسى الناس ذكر ماضيَّ ولا يعود احدٌ يعهدني في شيءٍ مما كنت عليهِ قبلاً . وكان يمكنكِ ان تدركي لاول وهلةٍ من تصريحي لكِ بعدم رغبتي في حضوركِ اني لا ارضاكِ —

واعترض ثمة كلامهِ دخول خادمٍ بيدهِ رقعة دفعها الى السيدة املي فتناولتها ومزَّقت غلافها بمزيد السرعة وطالعتها والغيظ يقيمها ويقعدها . ثم كتبت جوابها واعطتهُ للخادم فانصرف في الحال —

وبعد انصرافهِ ظهرت عليها لوائح الهدوء فقالت : —

— كنت اظنُّ ان كلاً منَّا يعرف الآخر جيدًا . ولكن يظهر لي ان كلينا أتيح لهُ الآن

ان يطلع على ما كان يجهلهُ من قبل . فعزمك الجديد على استرجاع مقامك بين الناس غريبٌ جدًّا كما ان ماعزمت انا عليهِ الآن لا ينقص عنهُ غرابة فبكل صراحة ارفض قبول ماعرضتهُ عليَّ

— يا عزيزتي املي ان اعظم ما دعاني الى التعلق بكِ توهمي انكِ على جانب عظيم من التعقل . فلستِ على شيء مما اعهدهُ فيكِ من قبل وقد اظلمتكِ طلع امري

— وبعبارةٍ اخرى انك تكرهني ! فالآن اخبرك بما انا صانعة. لست اقوى ان أُكرهك على الاقتران بي . لكني لا ادعك تقترن بغيري . فقد طالما شددت ازرك في مقاصدك الرديئة وارتطمت لاجلك في ادناس دنايا وارجاس خزايا لم يكن مال العالم كلهُ كافيًا لاغرائي باغترامها واجترامها . وان كانت نفسك الأمَّارة بالسوء تسوّل لك انك قادر ان تقول لي " استودعكِ الله لم يبق لي من حاجة اليكِ " وتتوقع أنَّ هذا يكون ختام الامر فانت أكبر مغرور واعظم جاهلٍ بمثل هذه الامور . أو هذا ظنك في امرأةٍ متعقلة — كما تفضلت بوصفك اياي — كانت على الدوام مستعدة لاستجلاب مسرتك وتكثير موارد الخير عليك ؟ وكانت وهي توجّه قواها العقلية نحو ما فيهِ صلاحك ومنفعتك تعدُّ متعقلة محبوبة ولكن حين وجّهتها قليلاً الى الاهتمام بمصلحة نفسها حسبتها طائشة رعناء . أأكون متعقلة اذا سكتُّ عنك الآن وهمتُ على وجهي في الارض متروكةً وحدي لا منقذ لي ولا معين لكي تكون انت عضوًا مكرمًا في جسم الهيئة الاجتماعية ؟ يا للغرابة ! لقد ساء فألك وكذبتك نفسك

فنهض اللورد واخذ برنيطتهُ وعصاهُ وتقدم نحو الباب يروم الخروج فحنَّت اليهِ واحاطتهُ بذراعيها قائلةً : —

— جاك . جاك . لا تذهب على هذا المنوال . عفوًا فقد غاظك كلامي . عدني انك لا تذهب

فاجابها بخشونة : —

— لقد حدثتك بكل ما عندي . دعيني اذهب دعيني اذهب ثم دفعها بيدهِ وخرج وفي اندفاعها زلَّت قدمها فسقطت بعنفٍ شديدٍ الى الارض وظلَّت هنيهةً كمن اصابهُ دوار ثم تنهَّدت تنهُّدًا عميقًا سرَّى عنها بعض كربها ونهضت خائرة القوى ضعيفة العزم حتى انها بالجهد استطاعت الوصول الى مكتبتها فلاحت منها التفاتة الى الرقعة الملقاة عليها فقالت بصوت جهير : —

آه يا جاك لو عرفتَ من ذا الذي ينتظر جوابًا على الرقعة لكنتَ اشدَّ تبصرًا واوفر تعقلاً — لكنك ستعرف عما قليل وتندم حين لا ينفعك الندم

ثم قرعت جرسًا امامها وفي الحال دخل القائد او بين غودارد فاسرعت الى استقباله بعدما تغلّبت على نفسها واخفت تأثّرها من ذلك السقوط العنيف وقالت : —

— لا يسعك ان تصف شدة ابتهاجي برؤيتك . فقد كنتَ محسنًا اليَّ اكثر مما استحقّ وقد بقيتُ الى هذه الدقيقة كافرةً بجميلك وجاحدة لمعروفك

فاجابها متلطفًا : —

— مسكينة ! لِمَ اراكِ مضطربةً ؟ ماذا اصابكِ ؟ وهل استطيع مساعدتكِ

— انك دائمًا مصدر هذه العواطف الشريفة يا اوبين فلله درك من مفضال كريم الشمائل ! وقد علمتُ مما كتبتهُ اليَّ انك قادم للسعي في حمل ارلنفورد على الاقرار بما جناهُ عليك وثروم مساعدتي . ولا ريب في انك تُقدر هذه المساعدة حق قدرها

— نعم لان كثيرين باقون مرتابين في براءة ساحتي . وستعقد هذه الليلة جلسة في بيت المستر بركز لاجل هذه الغاية وارجو ان تكوني من اكبر المساعدين لي . لانكِ تعلمين براءتي

— نعم اعلمها وسابرهنها . اذهب الآن فاني انتظر زائرًا . لاتلبثي على اشتراكي في هذه المسألة فقد كان لي ضدٌّ وهو محبتي لمن تعرفهُ . والآن — الآن — دفعني دفعةً صرعتني الى الارض ! آه !

— دفعكِ !

— نعم

— يالهُ وحشًا ضاريًا !

— لا بأس . اذهب الآن . ومساء نلتقي

وبعد خروجهِ قامت مرةً ثانيةً الى مكتبتها واخرجت منها غلافًا ومزقتهُ بسرعةٍ لا مزيد عليها واخرجت منهُ ورقة لعب وهي " رَوَا السباتي "

وفيما هي تنظر اليها دخل الخادم وبيدهِ رقعةٌ فتناولتها متراخية متثاقلة وفي طرفة عين هاج غضبها اذ تلت على الرقعة اسم " السيدة ارلنفود " . فالتفتت الى الخادم وزعقت بهِ : —

— هل قلت لها اني هنا

— كلاَّ ياسيدتي بل اخبرتها باني سانظر

— اذًا قل لها اني غائبة

ثم نادتهُ بعد ما كاد يخرج : —

— قف . ماذا تريد مني — هذه المرأة — هنا في بيتي ؟

وبعد ما وارت الورقة في جيبها امرت الخادم بان يدخل الزائرة اليها وحين دخولها قالت لاملي : —

— لا ريب في انكِ قلقتِ لزيارتي هذه ايتها السيدة ويجب عليَّ الاعتذار عن تطفلي عليكِ . لكنني لم اجد مندوحةً عن مقابلتكِ . ان — ان لي حاجة اطلبها منكِ

فاشارت اليها املي بما دلَّ على اصغائها الى كلامها واستتبعت تلك قائلة : —

— بلغكِ نبأُ الاجتماع الذي ينعقد هذا المساء لاجل تبرئة اوبين غودارد

— نعم

— واظنكِ تكونين فيهِ

— نعم

— سمعتِ اني عازمة على الرجوع الى زوجي اللورد ارلنفورد

— نعم

— ان مقام اللورد موقوف على ما تقولينهُ أنتِ ولا اجهل حرج موقفك في مثل هذه الاحوال وارجو انهُ يأتي احسن اصلاح ممكن . وقد جئتكِ الآن متوسلةً اليكِ ان تمسكي عن التشديد عليهِ جهدكِ

— ماذا ترومين ان افعل

— مرادي ان لاتحاربيهِ بتلك الورقة

قدمت املي يدها الى جيبها واخرجت الورقة المعهودة ووضعتها امامها . فلما رأتها السيدة ارلنفورد صرخت :—

— هذا ما كنت اخشاهُ . ولا بُدَّ ان يكون القائد غودارد عازم على اظهار الورقة التي معهُ — المكتوبة بخطي . فارحمي زوجي ولا تضيفي هذه البينة القوية الى تلك

— لقد كلمتني ايها السيدة بحرّية تامة فلي انا ايضاً ان اكلمكِ كذلك . فقد كنت عازمةً على صيانة هذه الورقة واخفائها حتى عن نفسي . ولكن منذ ساعةٍ تغيرَّت الاحوال

— ارجو ان تعودي الى —

— لا . دعيني افكر

ثم حال دون افتكارها دخول الخادم يقول لها سرًّا ان البارونة التدورف خارجاً تنتظر الدخول فامرتهُ بادخالها والتفتت الى الس وقالت : —

— ان احدى السيدات قادمة لزيارتي في وقتٍ معيَّن لها من قبل . وعلى افكارها

يتوقف امر تسرفي في هذه الورقة فادخلي هذه الغرفة التالية غير مأمورة وبعد ذهابها اطلعك على ما يكون

— تقولين انها قادرة على تقرير فكركِ افلا تدعيني اجتهد في استمالتها نحوي ؟ فعلى المرأة ان ترفق بنت جنسها

— ليس الآن بل بعد اجتماعي بها على انفراد

فدخلت السيدة ارلنفورد الغرفة الملاصقة وجلست املي وحدها تنظر الى الورقة وتخاطبها :—

— لست اعلم لمن يكون نصيب الحصول عليكِ ؟ فكلٌّ من ذينك الرجلين وهذه المرأة التي كانت الآن هنا يبذل في طريق نيلكِ مالاً جزيلاً . والشيطانة الجميلة يهمها الحصول عليكِ اكثر من كل واحد منهم . ترومين ايها البارونة التدورف ان اساعدكِ على رفع النقاب عن وجه ارلنفورد ولا تعلمين اني عازمة على بذل هذه المساعدة بملء الرضى والمسرة

ثم دخلت الشيطانة الجميلة فتقدمت املي لاستقبالها قائلةً :—

— بغاية المحافظة على الوقت ايها البارونة . حسناً فعلتِ ولا يخامركِ ريبٌ في اني اندر ثقتكِ بي حق قدرها وسوف ابرهن ذلك

— لقد برهنتِ بكتمانك سرَّ نقلد غودارد قيادة الفرقة الطيارة حين تدومي الينا في مرقبنا السياسي قبلما يرحلنا الى نيس

— لكنني لم اعرف ذلك الاَّ بعد ما تركني ارلنفورد في باريس ورجع الى لندن

— وحسناً ارتأينا ان نحملكِ على الارتياب في صدق هذا اللورد قبلما نطلعكِ على سرٍّ عظيمٍ كهذا . فلا يخفى عليكِ اننا نحن النساء حيثما نحبهُ —

— نعم . نعم . فهمت مرادكِ والآن تريدين ان اساعدكِ على اتمام شيء آخر

— نعم وارجو اني استطيع الاعتماد عليكِ

— ساجتمع بكِ هذه الليلة الساعة التاسعة في منزل المستر بركز وسيزى غودارد انهُ لا يكون لهُ هناك مساعد نظير املي دشتون

— توقعت اولاً اني سوف اتعب كثيراً في حملكِ على مساعدتنا لكنكِ تفضلتِ بقبول هذه المساعدة بملء الرضى على خلاف المنتظر ولستُ اسألكِ عن سبب ذلك . ولسوف ابرهن لكِ اني قادرةٌ هذه الخدمة قدرها . لان مرجع تبرئة غودارد اليكِ . ومعوَّل نجاحنا في نيلها عليكِ وسوف يسبب لكِ ذلك حزناً والماً وان سبب لنا فرحاً وابتهاجاً . لانكِ امرأة

وحيدة ليس لكِ شريك ولا معين على مجالدة هذه الخطوب . فارجو ان تثقي بانكِ في كل حين تستطيعين الاتكال على امرأة واحدةٍ تشاركك وتعضدك وان مست الحاجة تحميك وتلك المرأة هي التي تعرفينها باسم الشيطانة الجميلة . هذا وفي اراكِ مضطربة كثيرًا فأشير عليكِ بأن تستريحي قليلاً وفي الساعة التاسعة أرسل اليكِ مركبتي

— شكرًا لك . سأكون مستعدة في الوقت المعين

— اظنكِ لا تزالين محافظة على الورقة التي اعطاكِ اياها ارلنفورد

— هذه هي

— هل تسمحين لي بالحصول عليها ؟

— عندي سيدة تنتظر انصرافك لكي تعيد التماس الحصول على الورقة لتمزقها

— سيدة ! من هي ؟

— الكونتس ارلنفورد

— يهمني جدًّا ان اقابلها . تتفضلي بدعوتها الى هنا وعزّ في كلاًّ منا بالاخرى

— ولكني اخشى حضور هذه المقابلة

— ادعيها واعتذري عن الحضور واتركينا وحدنا فاكفيكِ مؤونة الحيرة في امركِ وارفع عنكِ ثقل الاهتمام باجابة طلبها

— باي اسمٍ ترومين ان تعرفي عندها ؟

— باسمي الخاصّ — البرنس غالتزن

— ماذا !

— هذا هو اسمي الحقيقي . ولم يعرفهُ قبلكِ احد غير البرنس سكولوف . فذهبت املي وجاءت بالس وعرفتها بالاميرة غالتزن وتركتهما وحدهما وخرجت

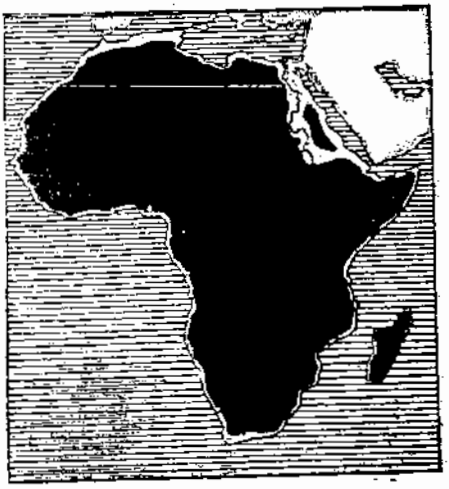

افريقية سنة ١٨٠٠

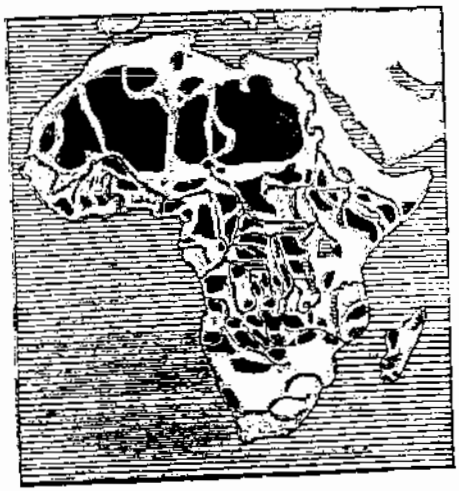

افريقية اليوم

اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠

اميركا الشمالية اليوم